

العنوان:	عبدالرحمن الثعالبي و منهجه في كتابه رياض الأنس في علم الرقائق و سير أهل الحقائق
المصدر:	مجلة البحوث والدراسات الشرعية
الناشر:	عبد الفتاح محمود ادريس
المؤلف الرئيسي:	مسلم، الطاهر عبدالرزاق الطاهر
مؤلفين آخرين:	الغرياني، عادل محمد عبدالعزيز(م. مشارك)
المجلد/العدد:	مج3، ع26
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	سبتمبر / ذو القعدة
الصفحات:	309 - 334
رقم MD:	650881
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	العلماء المسلمون ، الثعالبي،عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف ، ت 875 هـ، كتاب رياض الأنس في علم الرقائق و سير أهل الحقائق ، نقد الكتب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/650881

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

مسلم، الطاهر عبدالرزاق الطاهر، و الغرياني، عادل محمد عبدالعزيز. (2014). عبدالرحمن الثعالبي و منهجه في كتابه رياض الأنس في علم الرقائق و سير أهل الحقائق. مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج3، ع26 ، 309 - 334. مسترجع من <http://650881/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

مسلم، الطاهر عبدالرزاق الطاهر، و عادل محمد عبدالعزيز الغرياني. "عبدالرحمن الثعالبي و منهجه في كتابه رياض الأنس في علم الرقائق و سير أهل الحقائق." مجلة البحوث والدراسات الشرعية مج3، ع26 (2014): 309 - 334. مسترجع من <http://650881/Record/com.mandumah.search/>

عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في كتابه رياض الأنس في علم الرقائق وسير أهل الحقائق

أ. الطاهر عبد الرزاق مسلم* د. عادل محمد الغرياني**

اعتمد للنشر في ١٧/٨/١٤٣٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلم البحث في ٢/٧/١٤٣٥هـ

ملخص البحث:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة نبذة مختصرة عن حياة عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في سرد الأحاديث والآثار والأخبار والسير من خلال كتابه: (رياض الأنس في علم الرقائق وسير أهل الحقائق)، وذلك بعرض منهجه من خلال استقراء الكتاب بأكمله، ثم عرض مادته العلمية على كتاب الله وصحيح سنة رسوله ﷺ، ومن ثم نقدها بالحجة والدليل، وقد توصلت الدراسة بأن الثعالبي استشهد بأكثر من ٣٠٠ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مما أدى إلى ضعف القيمة العلمية لهذا الكتاب، ولكنه في الوقت ذاته استشهد بأكثر من ٣٠٠ حديث متفق عليه أو ما رقي لدرجة الصحة، كما تميز كتابه بطابع الترقيق والحث على الزهد في الدنيا، فكان من أهم مراجع الزهد والرقائق التي لم تنشر إلى الآن.

Abdul Rahman AL-Thaalibi and his method of the book “Meadow of Amiability To Consider Science of Asceticism And Biographies of The People of Righteousness”.

Abstract:

The aim of this study was to investigate briefly about the life of Abdul Rahman Thaalbi and approach his narrative conversations and effects, news and walk through the book: (Meadow of Amiability To Consider Science of Asceticism And Biographies of The People of Righteousness), by presenting his approach through the extrapolation of the entire book, and then view the article scientific book of God It is true Sunnah of His Messenger peace be upon him, and then criticize the argument and evidence, the study found that Thaalbi cited more than 300 of the conversations weak and developed, resulting in a weak scientific value of this book, but at the same time cited more than 300 modern agreed or promoted to health, also marked by book laminating nature and urge asceticism in the world, was thus one of the most important references in asceticism and chips which was not published until now.

* باحث بمرحلة الدكتوراه بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

** عضو هيئة تدريس في الجامعة الإسلامية الملكية الماليزية.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، لقد اهتم الشارع الحكيم بما يزكي النفس ويرقق القلب فاعتنى بالقلوب وحض الإنسان أن يكون قلبه رقيقاً خاشعاً ليكون قريباً من الله - عز وجل -، وأن تكون عنده سكينة وخشوع وانكسار، لأنه أمرٌ مهم جداً لكل مُسلم، فضلاً عن طالب علمٍ أو عالمٍ، والنبي ﷺ يقول فيما صح من حديث النعمان: (ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)،¹ وليس هناك أقوى من قوارع القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، اللذين أثرا في المسلمين تأثيراً بالغاً، ليس بنظمهما المعجز فقط؛ بل بالزواج والنواهي، وطريقة عرضهما للقصص في كل سورة، والتوجيه النبوي في كل حديث، ونظراً لما للرقائق من أثر كبير في تقويم النفس البشرية وإصلاحها فقد صنف العلماء في الرقائق كتباً مستقلة واعتنوا بها، بل إننا لا نكاد نجد كتاباً صنف في الحديث إلا وأُفرد للرقائق كتاباً أو باباً، وكانوا يعدون خشية الله ورقة القلب هي العلم الحقيقي وأن العلم الحقيقي هو ما يورث الخشية ورقة القلب، فالرقائق لها أثرها العظيم في النفوس مما يدل على أهمية توجه بعض أهل السنة للتخصص في هذا العلم العظيم والصناعة الجليلة -بقواعد علم أهل السنة والأثر- خاصة وأن كثيراً من الناس يميل بطبعه إلى ما يرقق القلوب، فإذا جلس في بعض المجالس مع ما فيها من علمٍ وسنةٍ لا يجد ما تميل إليه نفسه، فيبحث عن غيرها فيقع في مستنقع البدعة والخرافة والهوى، ولما للرقائق من الأهمية فقد ارتأينا دراسة منهجية لكتاب مستقل في هذا العلم وهو كتاب عبد الرحمن الثعالبي الجزائري المالكي، (ت: ٨٧٥هـ)، المسمى بـ(رياض الأنس في علم الرقائق وسير أهل الحقائق)، ووضعها في مطالب على هذا النحو:

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته وحياته وشيوخه وأهم مؤلفاته ووفاته.

المطلب الثاني: منهج عبد الرحمن الثعالبي في كتابه (رياض الأنس).

المطلب الثالث: مصادر المؤلف في كتابه.

المطلب الأول

التعريف بمؤلف الكتاب، اسمه ومولده ونشأته وحياته العلمية وشيوخه ووفاته

أولاً؛ اسمه:

هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عمر الثعالبي، الذي ترجع أصوله إلى جعفر بن أبي طالب،^٢ وقد أكد هذا الباحث عبد الرحمن الجيلاني في كتابه: تاريخ الجزائر العام، بأن الثعالبي جعفري ينتسب إلى جعفر بن أبي طالب.^٣

وتحدث ابن خلدون عن أصل الثعالبة ونسبهم وأماكن تواجدهم فقال: وأما الثعالبة فهم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير أخي عبيد الله بن صغير، وموطنهم لهذا العهد بمتيجة من بسيط الجزائر، وقد نزلوا في تلك النواحي منذ عصور قديمة، وذكر بعض الأحداث التي حدثت في تلك الحقبة ثم قال: حتى إذا غلب بنو مرين على المغرب الأوسط واستبد الثعالبة هؤلاء بذلك البسيط وملكوه، وكانت رياستهم في ولد سباع بن ثعلب، ولما غلب السلطان أبو الحسن على ممالك بني عبد الواد نقلهم إلى المغرب.^٤

ثانياً؛ مولده:

وقد أجمعت المصادر على أن عبد الرحمن الثعالبي كان مولده سنة: ست وثمانين وسبعمائة ٧٨٦هـ، في القرية التي يقطنها والداه، في وادي يُسر الذي بينه وبين مدينة الجزائر العاصمة ٨٦ كم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر.^٥

ثالثاً؛ نشأته:

في قرية وادي يُسر نشأ الإمام الثعالبي، وتلقى مبادئه الأولية في كتابتيها ومساجدها ومعاهدها، واستنشق من هوائها وظلته سماء أرضها، ولا شك أن البيئة أثراً كبيراً في حياة الإنسان تكيفاً ودراسة وسلوكاً، فلها علاقة وطيدة بالنسبة لتكوين شخصيته من جميع جوانبها الحسية والمعنوية، وكانت مدينة الجزائر من المدن التي يقتصر فيها التعليم -في تلك الفترة- على الكتاتيب في حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية وبعض المتنون.

رابعاً؛ رحلاته العلمية:

يقول عبد الرحمن الثعالبي في كتابه "الجامع": إذ كنت في قوم أثناء مطالعتي للكتب، كلما مررت بروضة يانقة، وثمره يانعة؛ تناولت من ثمارها، وقطفت من أزهارها، وتحريت نقلها بألفاظها معزوةً لأربابها.^٦ وهذه مقتطفات من كلام الثعالبي عن رحلاته:

عندما خرج من الجزائر قال: رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر من موضع يقال له: يُسر، وهو واد مشهور هناك، وذلك في آخر القرن الثامن، ثم تتاحت رحلتي إلى بجاية،^٧ وقال في موضع آخر: دخلت بجاية عام ٨٠٢هـ، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع، أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد الوداع أبي زيد عبد الرحمن بن احمد الوطيسي، وهم يومئذ متوافرون، أهل علم وورع، ووقوف عند الحدود، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم وطلبتهم مسلهم-رضي الله عن جميعهم،^٨ وبازدياد الرغبة لدى الثعالبي لينهل من العلوم الشرعية فقد توجه نحو مدينة تونس، وهنا يقول: ثم رحلت إلى تونس ودخلتها في أواخر سنة: ٨٠٩هـ، وأوائل سنة: ٨١٠هـ، فوجدت أصحاب الشيخ ابن عرفة:-المتوفي عام ٨٠٣هـ- متوافرين، فأخذت عنهم وحضرت مجالسهم.^٩

ثم واصل الثعالبي سيره في طلب العلم نحو المشرق، فكابد عناء الأسفار، وعاند صعوبات القفار إلى أن وصل إلى أرض الكنانة، قال-رحمه الله:- ثم رحلت إلى المشرق، ودخلت مصر، فلقيت بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلالي، فسمعت عليه البخاري، وقرأت عليه كثيراً من اختصاره لإحياء علوم الدين،^{١٠} ثم يواصل الثعالبي رحلته إلى الشرق الأوسط حيث الحجاز قاصدا مكة المكرمة، يقول الثعالبي: ثم حضرت قراءة شيء من الموطأ بمكة،^{١١} ولم يفصل الثعالبي عن إقامته في مكة وعن من تلقى العلم من المشايخ والعلماء، وبعد رحلته إلى الحجاز عاد الثعالبي إلى مصر مرة أخرى وهو ذا همة كبيرة للتزود من معين العلم، يقول: ثم رجعت إلى مصر، فحضرت مجلس أبي عبد الله البساطي شيخ المالكية بها، وأكثر الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي شيخ المحدثين، فحضرت

عليه علوماً جمة معظمها في علم الحديث، وفتح الله سبحانه لي فتحاً عظيماً، وكتب لي بخطه وأجازني -رحمه الله- تعالى.^{١٢}

قال الثعالبي: ثم رجعت إلى تونس، فوجدت شيخنا أبا مهدي عيسى الغبريني قد مات، وخلف في موضعه الشيخ الفقيه أبا عبد الله محمد القلشاني، فأخذت عنه ولازمته مدة. ثم قال: لم يكن يومئذ بتونس من أعلمه يفوقني في علم الحديث، منة من الله وفضلاً، وإذا تكلمت فيه أنصتوا، وتلقوا ما أرويه بالقبول، فضلاً من الله سبحانه، ثم تواضعا منهم وإنصافاً وإذعاناً للحق واعترافاً به...، إلى أن قال: ومع ذلك، قال لا أسمع بمجلس يروى فيه الحديث إلا حضرته.^{١٣}

فالثعالبي بهذه الرحلات لا شك أنه تضلع بها من العلوم الشرعية، فبحسن القصد يحصل الخير المنشود، وما كتبه ومصنفاته التي تركها إلا دلالة واضحة على علمه الواسع.

خامساً؛ شيوخ الثعالبي:

أما عن أهم شيوخ الثعالبي الذين اعتمد عليهم في تحصيله العلمي فهم:

- ابن خليفة الوشتاني المتوفى سنة: ٨٢٧هـ:

هو أبو عبد الله محمد بن خليفة بن عمر الوشتاني التونسي المالكي اشتهر بالأبي^{١٤} قال الثعالبي فيه: شيخنا مولاي الإمام الحجة الثقة، إمام المفتين، الجامع بين حقيقتي المنقول والمعقول، ذو التصانيف الفائقة البارعة، والحجج الساطعة اللامعة. ويقول الثعالبي أيضاً: أثناء كلامه عن رحلته، ثم دخلت تونس عام تسعة أوائل عشرة وأصحاب ابن عرفة متوافرون فأخذت عنهم، إلى أن قال: وأكثر عمدتي على الأبي.^{١٥}

- الحفيد بن مرزوق، المتوفى سنة: ٨٤٢هـ:

هو محمد بن أحمد بن ابن مرزوق التلمساني المالكي المعروف بابن مرزوق، قال الثعالبي: وقدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق، فأقام بها، وأخذت عنه كثيراً وسمعت عليه جميع الموطأ بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني، وختمت عليه أربعينات النووي قراءة عليه في منزله قراءة تفهم، فكان كلما

قرأت عليه حديثاً يعلوه خشوع وخضوع، ثم أخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي حتى ختمت الكتاب، وهو من أولياء الله -تعالى- الذين إذا رؤوا؛ ذكر الله، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية.^{١٦}

- ولي الدين العراقي -أبو زرعة- المتوفى سنة: ٨٢٦هـ

هو أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، يعرف كأبيه بابن العراقي، وفي هذا يقول الثعالبي في رحلته إلى المشرق:

ثم ارتحلت إلى المشرق، فلقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فأخذت عنه علوماً جمّة معظمها في علم الحديث، وفتح لي فيه فتحاً عظيماً، وأجازني جميع ما حضرته عليه.^{١٧}

- علي المنكلاتي البجائي:

هو أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي البجائي، من علماء بجاية وفقهائها، قال عنه الثعالبي: عندما دخلت بجاية؛ لقيت بها الأئمة المقتدى بهم، أصحاب الزهد والورع والوقوف مع الحق، ومنهم شيخنا الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاتي وكانت عمدة قراءتي عليه، بمسجد عين البربر.^{١٨}

- أبو مهدي عيسى الغبريني، المتوفى سنة: ٨١٥هـ:

هو أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي، قال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي: شيخنا أوجد زمانه علماً وديناً.

- أبو عبد الله القلشاني،^{١٩} المتوفى سنة: ٨٣٧هـ:

هو محمد بن عبد الله القلشاني، يقول الثعالبي فيه: ثم رجعت لتونس فإذا في موضع الغبريني؛ الشيخ أبو عبد الله القلشاني، خلفه فيه عند موته، فلازمته وأخذت عنه البخاري إلا يسيراً من البرزلي، وقد لازم الإمام أبو زيد الثعالبي أبا عبد الله القلشاني وذكره في بعض كتبه كما يقول التنبكتي.^{٢٠}

- أبو القاسم عبد العزيز العبدوسي، المتوفى سنة: ٨٣٧هـ:

هو أبو القاسم عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي، كان الناس

يتسابقون إلى حلقات دروسه قبل الصبح، رجالاً ونساءً، وقد نقل عنه كثير من العلماء منهم الإمام الثعالبي.^{٢١}

- أبو القاسم البرزلي، المتوفى سنة: ٨٤٤هـ:

هو أبو القاسم بن أحمد بن إسماعيل بن محمد عرف بالبرزلي نزيل تونس، وقد أفاد الثعالبي بأنه أخذ عن البرزلي في تونس شيئاً من صحيح البخاري عند عودته من رحلته إلى المشرق.^{٢٢}

- أبو عبد الله البساطي، المتوفى سنة: ٨٤٢هـ:

هو محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم المالكي البساطي وبه عرف، وقد أخذ عنه جماعة من أهل العلم والمذهب، كالشمس السخاوي، والقلصادي والشيخ الثعالبي، حيث نوه الثعالبي بأنه حضر مجلس أبي عبد الله البساطي شيخ المالكية بمصر أثناء رحلته إلى المشرق.^{٢٣}

- أبو العباس النقاوسي، المتوفى سنة: ٨١٠هـ:

هو أحمد النقاوسي البجائي العلامة، قال التتبيكتي: قال تلميذه أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي: هو شيخنا الإمام المحقق الجامع بين علمي المنقول والمعقول ذو الأخلاق المرضية والأحوال الصالحة السنية.^{٢٤}

- سليمان بن الحسن الشريف التلمساني، المتوفى سنة: ٨٤٥هـ:

هو أبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني، كان قائماً على المدونة وابن الحاجب، مستحضراً لفقه ابن عبد السلام، وأبحاثه نصب عينيه، قال الونشريسي: شيخ شيوخنا الفقيه المحصل، وقال في وفاته: توفي شيخ شيوخنا الحافظ الذاكر شيخ الفروع أبو الربيع سليمان الشريف عام: ٨٤٥هـ، وسمع منه الثعالبي ببجاية.^{٢٥}

- محمد بن علي العجلوني البلالي، المتوفى سنة: ٨٢٠هـ:

هو محمد بن علي بن جعفر الشمس العجلوني الشافعي، ويعرف بالبلالي، لازم النظر في الإحياء، بحيث كاد يأتي عليه حفظاً، سمع منه الثعالبي بمصر.^{٢٦}

- أبو الحسن علي البليلي:

هو أبو الحسن علي بن محمد البليلي، سمع منه الثعالبي ببجاية.^{٢٧}

- يعقوب الزغبى، المتوفى سنة: ٨٣٢هـ:

هو أبو يوسف يعقوب الزغبى، سمع منه الثعالبي بتونس.^{٢٨}

- عبد الله التونسي، المتوفى سنة: ٨٣٧هـ:

عبد الله بن مسعود التونسي، اشتهر بابن قرشية، أخذ عن والده، ومن شيوخه

ابن عرفة، وأحمد بن حيدرة، وأحمد بن إدريس الزواوي.^{٢٩}

هؤلاء هم أهم العلماء الذين تلقى الثعالبي عنهم المورد الصافي من العلم

بشتى أنواعه وعلومه.

سادساً؛ أهم مؤلفاته:

ذكر التنبكتي للثعالبي سبعة عشر كتاباً،^{٣٠} وكذلك محمد مخلوف التونسي؛

ذكر للثعالبي سبعة عشر كتاباً،^{٣١} بعضها تابع فيها التنبكتي، وبعضها انفرد بذكرها،

وذكر إسماعيل باشا البغدادي من مؤلفات الثعالبي خمسة عشر كتاباً،^{٣٢} أما عادل

نويهض فقد عدّ للثعالبي ستة وعشرين مؤلفاً، وأخيراً يقول: وغير ذلك مما ينيف على

التسعين مؤلفاً.^{٣٣}

وهنا نقوم بجمع ما تفرق في بطون كتب التراجم والطبقات وفهارس

المخطوطات، والتعريف بأهمها:

١- أربعون حديثاً في اغاثة الملهوف.

٢- إرشاد السالك، -جزء صغير-.

٣- الإرشاد في مصالح العباد.

٤- النقاط الدرر.

٥- الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة.

٦- تأليف في صفة الجنة.

٧- تحفة الإخوان في إعراب بعض آي من القرآن.

٨- جامع الأمهات في أحكام العبادات.

- ٩- جامع الخيرات.
 - ١٠- جامع الهمم في أخبار الأمم.
 - ١١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
 - ١٢- حقائق التوحيد في التصوف.
 - ١٣- الدر الفائق في الأذكار والدعوات.
 - ١٤- الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز.
 - ١٥- رسالة في التعريفات.
 - ١٦- روضة الأنوار ونزهة الأخيار.
 - ١٧- رؤية الإمام الثعالبي.
 - ١٨- رياض الأئمة في عالم الرقائق وسير أهل الحقائق،-وهو كتابنا هذا-.
 - ١٩- رياض الصالحين وتحفة المتقين.
 - ٢٠- شرح على مختصر ابن الحاجب.
 - ٢١- شرح منظومة ابن بري.
 - ٢٢- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة.
 - ٢٣- قطب العرفين ومقامات الأبرار والصديقين.
 - ٢٤- كتاب الأنوار في آيات ومعجزات النبي المختار.
 - ٢٥- كتاب النصائح وجمع الفوائد.
 - ٢٦- المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع.
 - ٢٧- معجم شرح غريب الجواهر الحسان.
 - ٢٨- نور الأنوار ومصايح الظلام.
- هذا الجمع من مؤلفات الثعالبي في كتب التراجم والطبقات وفهارس المخطوطات، سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة.
- سابعاً؛ وفاته:**

توفي عبد الرحمن الثعالبي -رحمه الله- صبيحة يوم الجمعة، في الثالث والعشرين من شهر رمضان، سنة خمس وسبعين وثمانمائة: ٢٣/٩/٨٧٥هـ،^{٣٤}

الموافق: ١٥/٣/١٤٧٩م، بعد أن قضى تسعين عاماً ملؤها طلب العلم والتعليم.

المطلب الثاني

منهج عبد الرحمن الثعالبي في كتابه (رياض الأنس).

من المعلوم أن الكثير من كتب الرقائق والوعظ؛ ينقصها التحري في رواية الأخبار من حيث صحتها، أو مخالفتها لأدلة صحيحة صريحة من الكتاب أو السنة، وكان الثعالبي -رحمه الله- قد وقع في هذا المُنزلق، فكان من منهجه عدم التحري في نقل الأخبار، بل كان الكتاب كغيره من كتب الرقائق الغير منقحة، فيورد الضعيف والواهيات من الأحاديث، بل ويورد الموضوع أيضاً، كما فعل في تفسيره عندما يروي الرقائق-، مع ما يتحلى به الكتاب من روايات صحيحة، بل ومتفق عليها بين الشيخين، وكان منهجه الرئيس في هذا الكتاب النقل، ولَمَّا يَأْتِي برأيه أو يدلي بدلوه في المواضيع التي ينطرق إليها، وقد أشار الثعالبي إلى منهجه في مقدمة كتابه فقال: "وقد جمعت في كتابي هذا من سير الصالحين والعابدين، وصفات المفضلين وآدابهم ورقيق كلامهم؛ ما فيه حياة ودواء لقساوتها وعونا في طاعة سيرها -إن شاء الله- وجعلتها فيه رقائق ومواعظ وأحكاماً وآداباً وحكايات وأمثالاً وأحاديث مرويات عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، وعن التابعين لهم، وعن الأئمة، وعن العلماء الثقات".^{٣٥}

وقد اختلف منهج الثعالبي باختلاف أبواب الكتاب، فأحياناً يدلي بدلوه في بداية الباب، ثم يستشهد بالنصوص القرآنية، فالأحاديث النبوية، ثم آثار الصحابة وأخبار الصالحين، ومثال ذلك قوله في باب المبادرة بالأعمال: وأؤكد الأشياء لأهل التوبة والإرادة؛ المبادرة للأعمال الصالحات، وترك التسويف وقد أمر الله -سبحانه- نبيه بالعبادة فقال: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^{٣٦} وأمر المؤمنين فقال تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾^{٣٧} وقال ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما خلق كثير؛ الصحة والفراغ)، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي وقال لي: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وعد نفسك من أهل القبور، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل مماتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك

غداً)، ٣٨ وقال ﷺ: (ما من أحد يموت إلا ندم على ما فعل! قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لو زاد في عمله، وإن كان مسيئاً ندم على ما فعل)، ٣٩ وعن الحسن أنه كان يقول: المبادرة بالمبادرة رحمكم الله، فلقد كان الرجل فيما مضى إذا أتت عليه أربعون سنة عاتب نفسه وأتعبها ويقول لها: كم وإلى كم كأني بك قد لحقت بمن مضى من إخوانك، فندمت على ما فرطت في حياتك، ووعظ أصحابه يوماً فقال: يا معشر الشيوخ؛ الزرع إذا طاب ما يصنع به؟ فقالوا: يحصد، ثم قال: يا معشر الشباب؛ كم من زرع لم يبلغ وأدركته الآفات.^{٤٠}

وأحياناً أخرى؛ يبدأ بالأحاديث النبوية ويسردها واحداً تلو الآخر ويختم الباب بموعظة من عنده، ومثال ذلك: عندما تكلم عن فساد الزمان، ختم الباب بموعظة فقال: أين القرون الخالية؟! وأين الأمم الماضية؟! قد خرجوا من القصور، وساروا إلى القبور، قد تغيرت وجوههم الحسان، وسالت عيونهم على الأكفان، وأكلت لحومهم الديدان، وصارت عظامهم رفاتاً، وأصبحت منازلهم خراباً، لا يسمعون من ناداهم، ولا يجيبون من دعاهم، أبدانهم قد بليت، وأخبارهم قد نسيت، فالله الله عباد الله، انظروا في أنفسكم قبل حلول آجالكم، وانقطع آمالكم.^{٤١}

ويأتي أحياناً بكلام إنشائي من عنده ويورده في بابٍ بأكمله، ومثال ذلك عندما تكلم عن الحور العين قال: وجهها في أمان، في جنة الرحمن، لباسها المرجان، وفيها أصناف الريحان، خدامها الولدان، مقامها في أمان مطلق، لسانها التسبيح، بهجتها طيب، وريحها لين، عظامها مسك، ريقها مصفى، بصرها تام، حاجبها أنج، شعرها مقرون، وجهها مشرق، قامتها معتدلة، مفلجة أسنانها، عنقها طويل، منكبا غليظ، مرفقها سلس، كفها رقيق، بطنها واسع، ثديها مستدير، ركبته مركبة، ساقها معتدل، محجوبة عن جارها، محفوفة قصورها، ومياهها مسكوبة، وأوانيها منصوبة، ونمازقها مصفوفة، لا يقسى قلبها، ولا يحمل بطنها، ولا يحيض فرجها، ولا تحسد جارتها، ولا يسأم زوجها، ولا يتغير لونها، عن الله راضية، والله عنها راضٍ، خلقت للمتقين، والحمد لله رب العالمين.^{٤٢}

وقد يُفرد بعض الأبواب بالأخبار والحكايات، دون الاستشهاد بالآيات والأحاديث، ومثال ذلك؛ عندما تكلم عن كرامات الأولياء في الباب الذي سماه: برهان الصالحين، نجد أنه ساق قصص وأخبار واهية مع عدم بيان درجتها من الصحة وعدمها، وكان الأولى به أن يأتي بالأدلة من الكتاب والسنة على صحة الكرامة، وأنها معلومة في معتقد أهل السنة والجماعة، مع عدم الغلو فيها، ثم يسرد ما صح في ذلك.

وقد يفيض في بعض أبواب الكتاب بالكلام والحكايات فيكون طويلاً طويلاً مُفْرِطاً، مثل باب برهان الصالحين، والبعض الآخر لا يتجاوز صفحة، مثل باب: ما جاء في الاغترار بالله، وأحياناً يكون سطرًا واحدًا، مثل باب: ما جاء في الختان.^{٤٣} وكان -رحمه الله- يُحَكِّمُ رأيه على بعض الأحاديث والحكايات قبل سردها، فيقول: حديث غريب، وحديث حسن، والعجيب في ذلك؛ أنه يحكم على الأحاديث برأيه الذوقي وليس الشرعي والعلمي، فمثلاً: من المعهود عند علماء الحديث أن الغالب في الحديث الذي يُحَكِّمُ عليه بالغريب، يكون ضعيفاً، وقد خالف الثعالبي هذه القاعدة، فقال: حديث غريب لحديث في صحيح البخاري،^{٤٤} ولم يبين الثعالبي مقصده من ذلك في مقدمة كتابه، وكذلك عند ذكره لأخبار بني إسرائيل، يقول أحياناً: حديث غريب، ثم يسرد الخبر.^{٤٥}

أما العناصر التي بنى عليها الثعالبي تنظيم مادة الكتاب فتتمثل في الآتي:

- ١- اعتماده على رواية ورش في إيراد الآيات، وهي الرواية المنتشرة والمشتهرة عند أهل المغرب.
- ٢- إيراد الأحاديث مُعَلِّقَةً من غير إسناد، وَقَلَّمَا يذكر الراوي، سواء كان من الصحابة أو التابعين.
- ٣- الغالب إيراد الأحاديث بالمعنى، مما جعلنا نُثَقِّلُ حواشي الكتاب لإخراج الحديث بلفظه من كتب السنة.
- ٤- جمعه لأحاديث مختلفة الدرجات ودمجها في لفظ واحد.

- ٥- نادراً ما يعزو الحديث إلى مصدره من كتب السنة.
 - ٦- يفسر الآيات عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، والغالب ما يكون تفسيره مطابقاً لتفسيره في الجواهر الحسان.
 - ٧- يتعرض لبعض المسائل الفقهية، ويفيض فيها الكلام والتفصيل.
 - ٨- اعتماده على المذهب المالكي في إيراد الأحكام الفقهية، وهو مذهب الفقهي خاصة ومذهب المغرب عامة.
 - ٩- في كثير من الأحيان؛ يأتي بأقوال ولا يذكر قائلها، كقوله: قال بعض الصالحين، قال بعض الزهاد، قال بعض الحكماء.. الخ.
 - ١٠- توجيهه نصائح للقراء عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، مع بيان الحكم الشرعي.
 - ١١- استشاده بالشعر بما يناسب المقام، ونظمه للشعر أحياناً.
 - ١٢- إيراد للإسرائيليات، والإكثار منها.
 - ١٣- ذكره لبعض المصادر عند نقل الأخبار، وهذا قليل جداً.
 - ١٤- نقله بعض الأخبار من كتب الشيعة دون الإشارة إلى ذلك.
- وهذا البيان بالأمثلة:

- ١- اعتماده على رواية ورش في إيراد الآيات، وهي الرواية المنتشرة والمشتهرة عند أهل المغرب، ومثال ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^٦، فالقراءة التي ذكرها المؤلف هي قراءة نافع، القراءة المنتشرة عند أهل المغرب، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، لما الموصولة بدون الفاء، قال القرطبي-رحمه الله- تعليقاً على الآية: قرأ نافع وابن عامر (بِمَا كَسَبَتْ) بغير فاء والباقون (فَبِمَا) بالفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر.^٧
- ٢- إيراد للأحاديث معلقة من غير إسناد، وقلاً يذكر الراوي، سواء كان من الصحابة أو التابعين، وهذا الغالب في جُلّ الكتاب، ومثال ذلك؛ قال ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم).^٨
- ٣- الغالب إيراد الأحاديث بالمعنى، ومثال ذلك: عن أنس ﷺ قال: (أبطأ الوحي عن

رسول الله ﷺ أربع ليالٍ، وقيل أكثر، حتى قالوا: إن محمداً قد قلاه ربه -أي تركه وأنساه-، فكان ﷺ لذلك محزوناً، فقالت خديجة -رضي الله عنها: - بأبي أنت وأمي يا رسول الله، مالي أراك محزوناً؟، فقال لها: (يا ابنة خويلد؛ تركني ربي أربع ليالٍ لم ينزل عليّ فيها وحي، فلذلك ثراني محزوناً)، فنزل عليه جبريل وخديجة معه، لم تنزل فقال له: يا محمد؛ إن الله تعالى يقروك السلام، ويقول لك: اقرأ: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾^٩، وإنك أحب على الله من أن يدعك، فالحديث متفق عليه، وهو مروى بالمعنى، ولفظه: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ امْرَأَةً، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾).^{١٠}

٤- جمعه لأحاديث مختلفة الدرجات ودمجها في لفظ واحد، ومثال ذلك: قال ﷺ: (عليكم بالودود الولود، ولا تتكحوا الحمقى؛ فإنَّ صُحبتَها بلاء، وأولادها ضياع)، فالحديث مختلط بين لفظين، الأول صحيح، ولفظه: عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: (تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم الأمم).^{١١}

٥- نادراً ما يعزو الحديث إلى مصدره من كتب السنة، كنقله عن البخاري وأبي داود، كقوله مثلاً: وخرَّج أبو داود في كتاب السنن، قال: قال رسول الله ﷺ: (من شرب الخمر؛ فاجلدوه، فإن عاد؛ فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه فإن عاد في الثالثة أو الرابعة؛ فاقتلوه).^{١٢}

٦- يفسر الآيات عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، والغالب ما يكون تفسيره مطابقاً لتفسيره في الجواهر الحسان، ومثال ذلك؛ تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^{١٣} بقوله: ومعنى الآية: الذين يكسبون الربا، ويفعلونه، وإنما قصد إلى لفظة الأكل؛ لأنها أقوى مقاصد الناس في المال، قال ابن عباس وغيره: معنى قوله سبحانه: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾، أي: من قبورهم في البعث يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، قالوا: كلُّهم يُبعثُ

كالمجنون؛ عقوبة له وتمقيتاً عند جميع المحشّر؛ ويقوّي هذا التأويل المجمع عليه أنّ في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا يَقُومُ المجنون)^{٥٤} وقال في مؤلفه رياض الأنس بعد ما أورد الآية: إذا قام أكل الربا من قبره يقوم كما يقوم المجنون.^{٥٥}

٧- يتعرض لبعض المسائل الفقهية، ويفيض فيها الكلام والتفصيل، ومثال ذلك: عندما تحدث عن حد القتل فيمن يفعل فعل قوم لوط: وقال مالك-رحمه الله:- الذي يفعل فعل قوم لوط؛ رُجم، محصناً أو غير محصن، وقال غير مالك: لا يلزمه قتل، وإنما يلزمه الحد، وناكح البهيمة قالت طائفة: يقتل، وقالت طائفة يحد.^{٥٦}

وكذلك عندما تحدث عن الحجر الأسود وأنه حجر من الجنة؛ قال: وقد اختلف فيه كثير من العلماء، فقال سعيد بن جبیر: عن ابن عباس رضي الله عنهما- إن الحجر الأسود كان من الجنة، كان لونه أشد بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك، وروي أيضاً عن محمد بن الحنفية أنه سئل عن الحجر الأسود، فقال: هو من أحجار الوادي، فأخذ الطاعنون على حديث رسول الله ﷺ بهذا الحديث -لعنهم الله- وقالوا: كيف يكون في الجنة أحجار، وقالوا: إن كان اسود من خطايا أهل الشرك، فيعود لبياضه حين يسلموا، فقليل لهم: لا ينكر أن يخالف ابن الحنفية ابن عباس وعلياً وابن عمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود في ذلك، لأن منهم من قال بشيء سمعه، ومنهم من قال باستعمال ظنه، ولذلك اختلفوا في تأويل القرآن وفي كثير من الأحاديث، فقال ابن عباس بسمعه، وقال ابن الحنفية بظنه، لأنه رآه بمنزلة غيره من قواعد البيت، ففضى عليهم أنه أخذ من حيث أخذت، والمشهور قول ابن عباس أنه من الجنة، لقول النبي ﷺ: (أما استلامك الحج؛ فإنه يأتي يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشفع لمن استلمه).^{٥٧}

٨- اعتماده على المذهب المالكي في إيراد الأحكام الفقهية، وهو مذهب الفقهي خاصة ومذهب المغاربة عامة، كقوله في باب الختان: قال مالك: ما يعجبني أن يختتن الطفل من سبعة أيام، فإنه من فعل اليهود -لعنهم الله تعالى-.^{٥٨}

٩- في كثير من الأحيان؛ يأتي بأقوال ولا يذكر قائلها، كقوله: قال بعض الصالحين، قال بعض الزهاد، قال بعض الحكماء..الخ.

١٠- توجيهه نصائح للقراء عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، مع بيان الحكم الشرعي، ومثال ذلك؛ عندما تكلم عن وجوب صلاة الجمعة، واستدل بأحاديث كثيرة، ثم قال: فلا تتخلفوا عباد الله عن الجمعة؛ إلا من عذر بيّن.^{٩٩}

١١- استشهاده بالشعر، فقد أضفى لمؤلفه هذا جمالاً من شعر الزهد والرقائق بما يتناسب والمقام، ولكنه لا يذكر قائل الأبيات إلا نادراً، ومثال استشهاده بالشعر قوله في باب طلب العلم:

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُؤَلِّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا رُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ
وَإِنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ وَالْعِلْمَ عِنْدَهُ كَبِيرٌ إِذَا التَّفَقُّتْ عَلَيْهِ الْمَجَاهِلُ^{١٠٠}

وفي النادر ما ينسب الأبيات لقائلها، كقوله: وأنشد محمود الورّاق:

وَمَنْ أَطْلَقَ الطَّرْفَ اجْتَنَى شَهْوَةً وَحَارِسَ الشَّهْوَةَ غَضُّ الْبَصَرِ^{١٠١}

١٢- إirاده للإسرائيليات، والإكثار منها، ومن المعلوم قوله ﷺ: ((وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج^{١٠٢} قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور؛ وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار"،^{١٠٣} وقسم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام: الأول؛ مقبول: وهو ما علم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ وذلك كتعيين اسم الخضر -عليه السلام- إذ ورد فيه حديث صحيح عند البخاري، أو ما كان له شاهد من الشرع يؤيده. الثاني؛ مسكوت عنه: وهو ما لا يعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز حكايته للغة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا..).^{١٠٤}

والثالث؛ مرفوض: وهو ما عُلِمَ كذبه لتناقضه مع شريعتنا ومخالفته للعقل، ولا يصح تصديقه ولا قبوله ولا روايته، ويجب على راوي الأخبار في كتب التفسير وغيرها التنبيه أن الخبر من الإسرائيليات.

وقد أكثر الثعالبي من أخبار بني إسرائيل لهذه الأنواع الثلاثة السالفة الذكر، فالمثال على النوع الأول وهو المسلم به، حديث الثلاثة الرجال من بني إسرائيل، الأقرع والأعمى والأبرص، الذي رواه الشيخان في صحيحيهما.^{٦٥}

ومثال المسكوت عنه؛ قال الثعالبي: وحُكِيَ أنه كان في زمن بني إسرائيل شاب من أعبد الناس، ولم يكن في زمانه أجمل منه حتى بلغ خبره إلى بنت الملك، فاحتالت عليه حتى أدخلته معها في القصر فدعته إلى نفسها فقال: اتركني أتوضأ، فأخذ الإناء ودخل المستراح ودعا الله، فخرج وقد أخذه الجذام والبرص من قرنه إلى قدمه فلما رآته هربت منه وأمرت بإخراجه، فخرج ودعا الله فزال كل ما كان به ورجع إليه حسنه كما كان أول مرة بقدرة الله -تعالى-.^{٦٦}

أما عن الوجه المرفوض من الإسرائيليات فهذا مثاله؛ قال الثعالبي: وعن نبي من أنبياء بني إسرائيل أنه أذنب ذنباً، فأتى البحر فنادى: أيها البحر البعيد القعر، الكثير الأمواج، إني أذنبت ذنباً؛ فهل أنت مغيثي عن الله ساعة واحدة؟ فأوحى الله إلى البحر أن يجيبه، فأجابه فقال: أيها النبي؛ ما في قطرة إلا وعليها حافظ من الله، ثم أتى الجبال فنادى: أيتها الجبال الكثيرة الأشجار، الجارية الأنهار؛ إني أذنبت ذنباً، فهل أنت مغيثي عن الله ساعة واحدة، فأمر الله الجبال أن تجيبه، فقالت له: أيها النبي؛ والله ما فينا موضع ولا شجرة إلا وعين الله تراها، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، فقال: اللهم اقبض روحي، واجعلني مهملًا، ولا أحضر الحساب، فأوحى الله إليه: بل أتوب عليك يا نبيي وحبيبي، وأسكنك جنتي.^{٦٧}

فالمعنى الذي يحمله هذا الخبر؛ مخالف للكتاب والسنة، وهو باطل، إذ كيف بنبي من الأنبياء أنعم الله عليه بالنبوة يشرك بربه؛ فيتخذ واسطة مع الله -جل وعلا- لتشفع له بسبب ذنب أذنبه.

- ١٣- ذكره لبعض المصادر عند نقل الأخبار، وهذا قليل جداً، وقد حصرنا المصادر التي نقل عنها وذكرها في متن الكتاب، فتمثلت في الآتي:
- ١- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ).
 - ٢- الأنوار في علم الأسرار، عبد الرحمن الصقلي، (ت: ٣٨٠هـ).
 - ٣- أنوار الفجر، أبو بكر بن العربي، (ت: ٤٥٣هـ).
 - ٤- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، ولم يصرح بذكر الكتاب إنما يعزو القول أحياناً لأبي حامد.
 - ٥- منهاج العابدين، أبو حامد الغزالي.
 - ١٤- نقله بعض الأخبار من كتب الشيعة دون الإشارة إلى ذلك، ومن ذلك ما نقله عن الكليني في كتابه الكافي عن رجل من بني إسرائيل في قصة مطولة. والأولى لأهل السنة ترك كتب أهل الأهواء لما بها من ضررٍ على الدين اللهم إلا للرد عليهم وتفنيد أقوالهم، فالمعلوم أن كتاب الكليني قد احتوى على كفر وزندقة، وهو عمدة مراجع الشيعة الإمامية في مذهبهم.
 - ١٥- استخدامه لصيغ التمريض، والإكثار منها في سرد الأخبار: كقوله: رُوي ويُروى، وحكى ويحكى، وقيل، وقال بعض الصالحين، وسئل أحد الصالحين، وقال بعض الأدباء، وقال بعض الحكماء، وعن بعض الصالحين... الخ.

المطلب الثالث

أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه

لا يستطيع أحد من الخلق ادعاء القدرة على الإتيان بأفضل مما أتى به أئمة هذه الأمة، فالخلف عيالٌ على السلف، ولولا أن الله حفظ بهم الدين؛ لَمَا كان هذا حال المسلمين، ولعبدوا الله بمذاهب باطلةٍ ما أنزل الله بها من سلطانٍ، فَلِلَّهِ دَرُهم، وعليه شكرهم. ومن هنا كان للثعالبي أن يعتمد على كلام من سبقوه، فهم سلفه، وهو خَلْفُهُم، وهم شيوخه، وهو تلميذهم، فمن مكثرٍ عنه، ومن مقلٍّ، ولا شك أن للرحلة التي ارتحلها الثعالبي في طلب العلم أثراً بالغاً في تحصيل دواوين أولئك الأعلام، خاصة كتب

المشركين منهم، فجمع حصيلة وافرة عزّ اقتناؤها، وأسفاراً عظيمة نذر اقتناصها. ولقد تنوعت مصادر الثعالبي تنوعاً كبيراً، وذلك بسبب توسعه في تصنيفه للأبواب وتنويعه لمضمونها، فمن أحاديث نبوية إلى آثارٍ للصحابّة إلى أخبار التابعين والزهاد، إلى قصص الواعظين إلى بعض المواعظ من بنات أفكاره، وهكذا.. وهذا مما لا شك فيه أنه يحتاج للعديد من المصادر، ويجدر بنا أن ننبه أن الثعالبي لا يعزو الخبر إلى مصدره، اللهم إلا النذر القليل الذي ذكرناه في النقطة السابقة عندما تكلمنا على منهجه، برقم: ١٣، وهذه المصادر التي سنذكرها الآن إنما عرفناها بالاستقصاء والتحري في البحث، حتى استخرجنا هذه العصارّة من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في تأليفه، ونذكر أهمها:

١- أهم مصادره في علوم القرآن:

- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، وينقل منه الكثير من أقوال التابعين في الزهد والرفائق، وبعض تفسير الآيات.
- تفسير القرآن العزيز، محمد بن أبي زمنين، (ت: ٣٩٩هـ).
- أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، (ت: ٤٥٣هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، المشتهر بتفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، (ت: ٦٧٨هـ).
- تفسير القرآن العظيم، المشتهر بتفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت: ٧٧٤هـ).

٢- أهم المصادر التي اعتمد عليها من كتب السنة:

- وهي كثيرة جداً ومتنوعة، لتوسع المؤلف في سرد الأحاديث، وهذه أهمها:
- الكتب الستة، وهي:
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ).
- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ).
- جامع الترمذي، المسمى بسنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ).

- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن النسائي، (ت: ٣٠٣هـ).
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله بن ماجه القزويني، (ت: ٢٧٣هـ).
- وكذلك موطأ الإمام مالك، (ت: ١٧٩هـ)، ومسند الإمام أحمد، (ت: ٢٤١هـ)، وغير هذه من الكتب الحديثية المسندة مما يطول سردها، وقد اقتصرنا على ذكر أهمها.

٣- أهم المصادر التي اعتمد عليها من كتب الترغيب والترهيب: أ- كتب مسندة:

- الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، (ت: ١٨١هـ).
- الزهد، أحمد بن حنبل، والذيل لابنه، (ت: ٢٤١هـ).
- الورع، أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ).
- الزهد، هناد بن السري، (ت: ٢٤٣هـ).
- الزهد، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ).
- الزهد، ابن أبي عاصم، (ت: ٢٨٧هـ).
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، (ت: ٣٣٣هـ).
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان، (ت: ٣٥٤هـ).
- الزهد الكبير، أبو بكر أحمد البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ).
- المنتخب من الزهد والرقائق، الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ).

ب- كتب غير مسندة:

- بهجة المجالس، يوسف ابن عبد البر، (ت: ٤٦٣هـ).
- ربيع الأبرار، محمود الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ).
- العاقبة في ذكر الموت، عبد الحق الإشبيلي، (ت: ٥٨١هـ).
- التذكرة، أبو عبد الله القرطبي، (ت: ٦٧١هـ).
- سلاح المؤمن في الدعاء والذكر، محمد بن همام، (ت: ٧٤٥هـ).
- ٤- أهم المصادر التي اعتمد عليها من كتب الرقائق والتربية وتهذيب النفس:
أ- ما نقله من بعض مصنفات عبد الله بن أبي الدنيا المسندة، (ت: ٢٣١هـ)، نذكر

منها: الورع، حسن الظن بالله، المنامات، الهواتف، ذكر الموت، الأولياء، التهجد وقيام الليل، ذم الدنيا، العقوبات، مداراة الناس، من عاش بعد الموت، الصبر، العيال، الإخوان، الهم والحزن، العزلة والانفراد، الرضا عن الله وقضائه.

وتتمتاز مصنفات ابن أبي الدنيا عن غيرها من كتب الرقائق بالإسناد.

ب- ما نقله من مصادر أخرى: قوت القلوب، أبو طالب المكي، (ت: ٣٨٦هـ). حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ). أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ). الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، (ت: ٤٦٥هـ). إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، وقد نقل منه المؤلف فأكثر منه النقل. منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، للغزالي أيضاً. روض الرياحين في حكايات الصالحين، عبد الله اليافعي، (ت: ٧٦٨هـ).

ج- ما نقله من بعض مصنفات عبد الرحمن بن الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، نذكر منها: صفوة الصفوة، المدهش، بحر الدموع، بستان الواعظين، البر والصلة، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش.

٥- أهم المصادر التي اعتمد عليها من كتب التاريخ والتراجم:

- أخبار مكة، محمد بن عبد الله الأزرق، (ت: ٢٥٠هـ).
- أخبار مكة، محمد بن إسحاق الفاكهي، (ت: ٢٧٥هـ).
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ).
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ).
- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن عساكر، (ت: ٥٧١هـ).
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت: ٧٧٤هـ).
- قصص الأنبياء، لابن كثير أيضاً، ولا يخلو هذا الأخير من الإسرائيليات التي يستشهد بها الثعالبي كثيراً.

الخاتمة:

أخيراً نستنتج لهذه الورقة البحثية أن متابعة ماهية الرقائق والزهد ومجاهدة النفس ومحاولات معرفة الله في كتاب الثعالبي من أخبار الزهاد والعبدين؛ الكثير منه

ينبني بوضوح بالخروج عن حد الزهد السني الذي بين منهجه الرسول الكريم ﷺ، وأساسه التوسط في كل شيء، مع وجود إشارة هداية واضحة تشكل نظاماً للمسلم في حياته، وهي قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^{٦٨}، ففي الآية الكريمة بيان أن الوجهة النهائية والهدف الأسمى هو الآخرة وأن الدنيا زاد لها، وأن آلية المسير هي الإحسان، وهذا غاية البيان وغاية الوضوح وغاية الطموح لكل مؤمن، أن يكون مبتغاه جنة عدن؛ يأخذ لذلك من الدنيا من غير سرف ولا تقتير، يسلك إلى ربه طريق المحسنين، الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، وقد نبه ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس لهذه المسألة فقال: "فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما؛ أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف"، تلبيس إبليس؛ ص: ١٦٥.

ولقد حوى كتاب الثعالبي هذا دعاوى صوفية عريضة في الحقائق، وخوارق العادات في باب السلوك والرقائق، تنتهي إلى حيث لا يقوى على تصديقها-فضلاً عن حملها- من أشرب قلبه معالم الدين، كما وجدنا بعضاً من المخالفات الشرعية وقد علقنا عليها في مكانها، فلا يمكن تركها تمر مرور الكرام، لأن هذا العلم دين، ونحن مأمورون بالإصلاح، وكما قال ابن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

ولا يفهم من كلامنا هذا أن الكتاب خال من الفوائد، فالأحاديث المتفق عليها والصحيحة والحسنة ما يقارب ٤٦% من مجموع الأحاديث، وكذلك يوجد بالمخطوط فوائد ومواعظ قيمة من أخبار السلف الصالح، وقد قيل: ما لا يدرك كله؛ لا يترك جله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هوامش البحث:

^١ - متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه: ٢٨/١، حديث رقم: ٥٢، باب: فضل من استبأ لدينه، تحقيق: مصطفى البغا، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار ابن كثير، دار اليمامة، بيروت، ورواه مسلم في صحيحه: ١٢١٩/٣، حديث رقم: ١٥٩٩، باب: أخذ الحلال وترك

- الشبهات، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ت) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ^٢ - محمد بن ميمون، (د. ت)، التحفة المرضية، تحقيق: عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية، ذخائر، المغرب العربي، ص: ٣٣٣.
- ^٣ - تاريخ الجزائر العام: ٢٨٠/٢.
- ^٤ - تاريخ ابن خلدون: ١٢٦/٦ - ١٢٩.
- ^٥ - ينظر: معجم المطبوعات العربية والمصرية؛ ص: ٦٦١، والتحفة المرضية؛ ص: ٣٣٤، ومعجم أعلام الجزائر؛ ص: ٨٨.
- ^٦ - كتاب الجامع للثعالبي، مخطوط اللوحة الأولى، الموجود في الخزانة الحسنية-الملكية- في الرباط، رقم: ٨١٥٥.
- ^٧ - كتاب الجامع، ورقة: ٥٢.
- ^٨ - المصدر نفسه، وينظر: تفسير الجواهر الحسان: ١٧١/٥، حيث ذكر الثعالبي نبذة عن رحلته عند انتهائه من تفسير سورة الشورى، وينظر: فهرس الفهارس للكتاني: ٧٣٢/٢، ومعجم أعلام الجزائر ٨٨.
- ^٩ - كتاب الجامع، ورقة: ٥٢، والجواهر الحسان: ١٧١/٥، سورة الشورى، الآية: ٥٣.
- ^{١٠} - كتاب الجامع، ورقة: ٥٢.
- ^{١١} - المصدر نفسه، وينظر: تفسير الجواهر الحسان: ١٧١/٥، سورة الشورى، الآية: ٥٣.
- ^{١٢} - كتاب الجامع، ورقة: ٥٢، والجواهر الحسان: ١١٩/٤.
- ^{١٣} - ينظر: كتاب الجامع، ورقة: ٥٣.
- ^{١٤} - أبي بضم الهمزة وتشديد الياء؛ قرية من تونس بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، ينظر معجم البلدان: ٨٥/١.
- ^{١٥} - كتاب الجامع مخطوط ورقة: ٥٢، ونيل الابتهاج؛ ص: ١٧٣.
- ^{١٦} - ينظر ترجمته في نيل الابتهاج بتطريز الديباج -باختصار-؛ ص: ٢٩٣، وكذلك نفح الطيب: ٤٢٠/٥، والضوء اللامع: ٥٠/٧، وشجرة النور الزكية؛ ص: ٢٥٢، ومعجم المؤلفين؛ ص: ٣١٧، وتوشيح الديباج وحلية الابتهاج برقم: ١٧٠.
- ^{١٧} - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١١٩/٤.
- ^{١٨} - تفسير الجواهر الحسان: ١١٩/٤، ونيل الابتهاج؛ ص: ١٧٣، ٢٠٦.
- ^{١٩} - قلشانة: بالفتح ثم السكون وشين معجمة وبعد الألف نون: مدينة بافريقية أو ما يقاربها، ينظر: معجم البلدان: ٣٨٩/٤.
- ^{٢٠} - ينظر: نيل الابتهاج؛ ص: ١٧٣، ٢٩١، والضوء اللامع: ١٠٧/٨، وشجرة النور الزكية؛ ص: ٢٤٤، والحلل السندسية؛ ص: ٦٨٨.
- ^{٢١} - ينظر: نيل الابتهاج؛ ص: ١٧٩ - ١٨١، والضوء اللامع: ١٣٩/١١، والحلل السندسية في

- الأخبار التونسية؛ ص: ٦٧٤، وتوشيح الديباج وحلية الابتهاج؛ ص: ١٢٥ برقم: ١١٩.
- ٢٢- ينظر: الضوء اللامع: ١٣٣/١١، والأعلام للزركلي: ١٧٢/٥، ونيل الابتهاج؛ ص: ١٧٣، حيث أخذت عنه العبارة التي بين قوسين.
- ٢٣- ينظر: نيل الابتهاج؛ ص: ١٧٣.
- ٢٤- المصدر نفسه؛ ص: ٧٦، ٧٠.
- ٢٥- المصدر نفسه؛ ص: ١٨٥.
- ٢٦- ينظر: الضوء اللامع: ١٧٨/٨.
- ٢٧- ينظر: نيل الابتهاج؛ ص: ٢٥٨.
- ٢٨- المصدر نفسه.
- ٢٩- ينظر: نيل الابتهاج؛ ص: ٢٣٠، والسخاوي شمس الدين، الضوء اللامع: ٧٠/٣.
- ٣٠- ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الابتهاج؛ ص: ١٧٤.
- ٣١- ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية؛ ص: ٢٦٥.
- ٣٢- ينظر: هدية العارفين: ٥٣٢/١ - ٥٣٣.
- ٣٣- ينظر: معجم أعلام الجزائر؛ ص: ٨٩.
- ٣٤- ينظر: التحفة المرضية؛ ص: ٣٣٧، ومعجم أعلام الجزائر؛ ص: ٨٩.
- ٣٥- اللوحة الأولى من مخطوطة رياض الأئس.
- ٣٦- سورة الحجر، الآية: ٩٩.
- ٣٧- سورة النجم، الآية: ٦٢.
- ٣٨- حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه، ٢٣٥٨/٥، حديث رقم: ٦٠٥٣، باب: قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، والحديث بلفظه من غير زيادة: فإنك لا تدري يا عبد الله، ولفظ: (إنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا) رواه الترمذي في سننه: ٥٦٧/٤، حديث رقم: ٢٣٣٣، باب: ما جاء في قصر الأمل، وهو صحيح كذلك؛ صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم: ٢٣٣٣، وفي السلسلة الصحيحة: ١١٥٧.
- ٣٩- حديث ضعيف، رواه الترمذي في سننه: ٦٠٣/٤، حديث رقم: ٢٤٠٣، باب: ما جاء في ذهاب البصر، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم: ٢٤٠٣.
- ٤٠- ينظر مخطوط رياض الأئس باب: ما جاء في المبادرة بالأعمال.
- ٤١- المصدر نفسه، باب: ما جاء في فساد الزمان.
- ٤٢- المصدر نفسه، باب: ما جاء في وصف حور الجنان.
- ٤٣- المصدر نفسه، الأبواب: في برهان الصالحين، وباب: ما جاء في الاغترار بالله، وباب: ما جاء في الختان.
- ٤٤- المصدر نفسه، باب فيه أحاديث مرويات عن رسول الله ﷺ.
- ٤٥- المصدر نفسه، باب: ما جاء في بر الوالدين.

- ^{٤٦}- سورة الشورى، الآية: ٣٠، وينظر باب: ماجاء في التحذير من الذنوب من المخطوطة.
- ^{٤٧}- ينظر: تفسير القرطبي: ٣٠/١٦، سورة الشورى، الآية: ٣٠.
- ^{٤٨}- حديث صحيح، رواه ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك: ٨١/١، حديث رقم: ٢٢٤، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ت) دار الفكر، بيروت، والطبراني في الأوسط: ٢٤٥/٤، حديث رقم: ٤٠٩٦، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢٥٣/٢، حديث رقم: ١٦٦٣، الباب: ١٧، في طلب العلم، وقال الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: ٧٢، وينظر: مخطوط رياض الأنس، باب ما جاء في طلب العلم.
- ^{٤٩}- سورة الضحى، الآية: ٣-١.
- ^{٥٠}- حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه: ١٨٩٢/٤، حديث رقم: ٤٦٦٧، باب: تفسير سورة الضحى، ورواه مسلم في صحيحه: ١٤٢٢/٣، حديث رقم: ١٧٩٧، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، والذي ورد من قول خديجة إسناده صحيح مرسل، وهذا لفظه: عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عن خديجة-رضي الله عنها- أنها قالت: لما أبطأ عن رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعا شديداً فقلت مما رأيت من جزع: لقد فلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله: ((مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى))، رواه الحاكم في المستدرک: ٦٦٧/٢، برقم: ٤٢١٤، وقال الذهبي في التلخيص: إسناده صحيح مرسل، ينظر: مستدرک الحاكم مع تخريجات الذهبي في التلخيص، برقم: ٤٢١٤، وينظر: مخطوط رياض الأنس، باب: أحاديث مرويات عن رسول الله ﷺ.
- ^{٥١}- حديث حسن صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٢٠/٢، حديث رقم: ٢٠٥٠، باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ورواه النسائي في سننه: ٦٥/٦، حديث رقم: ٣٢٢٧، باب: كراهية تزويج العقيم، وصححه العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء، ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين مع تخريجات الحافظ العراقي: ٥٢/٢، الباب الثاني: فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح، برقم: ٢٠٥٠، واللفظ الثاني موضوع، رواه الديلمي في الفردوس: ٢٣/٥، برقم: ٧٣٣٣، عن علي-رضي الله عنه-، أورده الكنانى علي في تنزيه الشريعة المرفوعة: ٢١١/٢، برقم: ٤٤، وقال: فيه لاحق بن الحسين، وذكره الشوكاني محمد في الفوائد المجموعة: ص: ١٣١، برقم: ٤١، وقال: فيه كذاب، وينظر مخطوط رياض الأنس، باب: ما جاء في النكاح وأحكام الزوجية والرفق بالعيال.
- ^{٥٢}- حديث ضعيف، رواه أبو داود في سننه: ١٦٥/٤، حديث رقم: ٤٤٨٥، باب: إذا تتابع في شرب الخمر، وإسناد الحديث: ضعيف مرسل، قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود: ضعيف مرسل، برقم: ٤٤٨٥، وينظر: مخطوط رياض الأنس، باب: ما جاء في شرب الخمر.
- ^{٥٣}- سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

- ^{٥٤} - ينظر: الشعالي عبد الرحمن، تفسير الجواهر الحسان: ٥٣٤/١، سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
- ^{٥٥} - ينظر: مخطوط رياض الأئس، باب: ما جاء في أكل الربا.
- ^{٥٦} - المصدر نفسه، باب: فيمن يفعل فعل قوم لوط.
- ^{٥٧} - حديث صحيح، رواه ابن خزيمة في صحيحه: ٢٢٠/٤، حديث رقم: ٢٧٣٥، باب: ذكر صفة الحجر، ورواه ابن حبان في صحيحه: ٢٥/٩، حديث رقم: ٣٧١٢، باب: ذكر البيان بأن اللسان للحجر إنما يكون في القيامة لا في الدنيا، ورواه الترمذي في سننه: ٢٩٤/٣، حديث رقم: ٩٦١، باب: ما جاء في الحجر الأسود، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم: ٩٦١، وينظر مخطوط رياض الأئس، باب: في فضل الحج من هذا الكتاب، برقم: ٤٥.
- ^{٥٨} - ينظر باب: ما جاء في الختان، برقم: ١٠١.
- ^{٥٩} - ينظر باب: ما جاء في فضل الجمعة، من هذا الكتاب برقم: ٥٠.
- ^{٦٠} - ينظر باب: في طلب العلم والتعلم من هذا الكتاب، برقم: ١.
- ^{٦١} - ينظر باب: ما جاء في غض البصر من هذا الكتاب، برقم: ٩.
- ^{٦٢} - صحيح، رواه البخاري في صحيحه: ١٢٧٥/٣، حديث رقم: ٣٢٧٤، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.
- ^{٦٣} - ينظر: العسقلاني أحمد بن حجر، فتح الباري: ٤٩٨/٦، برقم: ٣٢٧٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الخطيب، سنة النشر: ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.
- ^{٦٤} - حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه: ١٦٣٠/٤، حديث رقم: ٤٢١٥، باب: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا.
- ^{٦٥} - ينظر باب: ما جاء في فضل الصدقة من هذا الكتاب، برقم: ٥٤.
- ^{٦٦} - ينظر باب: برهان الصالحين من هذا الكتاب، برقم: ٢٦.
- ^{٦٧} - ينظر باب: ما جاء في فرض التوبة من هذا الكتاب، برقم: ٥.
- ^{٦٨} - سورة القصص، الآية: ٧٧.